الزخرفة نشأتُها وتطورها في الفن العراقي القديم (في ضوء نماذج منتخبة)

م.م. ياسمين ياسين صالح
كلية الآثار / جامعة الموصل

المقدمة:

يتضمن هذا البحث دراسة الزخرفة في الفن العراقي القديم وتطورها عبر العصور وبيان أهيمتها من خلال الأساليب الفنية المنفذة آنذاك، إذ ضمّت النماذج الفنية المكتشفة أنواعاً مختلفة من الزخارف النباتية والحيوانية والكتابية والآدمية والهندسية التي يقوم عليها كل تكوين زخرفي من خلال إتباع مبادئ وقواعد ثابتة استمد الفنان معظمها من الطبيعة بصفتها المصدر الأول للجمال والإلهام.

ان دراسة التكوينات الزخرفية تعني التعرف على أصولها ومدلولات طرزها في النتاجات الفنية و على أهداف تنفيذها، كل ذلك تطلب الإلمام بعناصر الزخرفة وتشكيلاتها المتنوعة في الفن العراقي القديم والتي نفذت على الفخاريات ونقوش الأختام والمنحوتات بصورة عامة. وهذه النتاجات الفنية جيمعا يمكن ان تقدم صورة واضحة عن أنواع وطرز العناصر الزخرفية لتلك الأعمال الفنية في ذلك العصر.

لقد كان في فن الزخرفة جزءاً من النشاط الفني الذي نفذه الإنسان من اجل إضفاء الزينة والجمال على أعماله الفنية، كما تعكس الزخرفة الواقع الذي كان يعيش فيه إنسان ذلك العصر، إذ ان هذا الفن يبين تاريخ الإنسان وثقافته وتراثه.كما تعكس الزخرفة الواقع الذي كان يعيش فيه إنسان ذلك العصر، اذ ان هذا الفن كان وما يزال جزءاً من تاريخ الإنسان وثقافته وتراثه.

لقد عرف العراقيون القدماء الفن الزخرفي ونفوذه بأشكال بسيطة ثم لم تلبث تشكيلات الزخرفة أن تطورت عبر العصور وبتنوع واضح، وكشفت أعمال التنقيب عن إبداعات الفنانين العراقيين ومهاراتهم في الزخرفة على الأعمال الفنية وعلى العمائر التي شيدوها بنماذج زخرفية متنوعة مثل زخارف ثمار الأشجار وزخارف النباتات والأزهار، كما أضافوا اليها زخرفة الأشكال الهندسية والحيوانية واشكال الآلهة والملوك والأفراد لتعكس موضوعات مختلفة من واقع الحياة المتحضرة التي كان يعيشها السكان في العراق القديم آنذاك.

ان تجربة الإنسان الفنية في العراق القديم تعود الى عصور ما قبل التاريخ وبمرور الزمن عمل الإنسان على تذوق فن الزخرفة والزينة في مسكنه وملبسه وأثاثه وحتى في تشكيل طعامه، فكان الإنسان القديم (الذي سكن الكهوف منذ البدء) يرسم على جدران الكهوف صوراً لبعض الحيوانات والنباتات والأشجار التي كان يشاهدها في محيطه واستخدم ما توفر لديه من الأصباغ لتلوين تلك الرسوم لتبدو اقرب الى لونها الطبيعي.

الزخرفة لغةً واصطلاحاً:

الزخرفة لغة تعني الزينة وحُسن كمال الشيء، قال تعالى في كتابه العزيز((إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ)) [1]، وقوله تعالى: ((حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ))[2]، وقد وردت كلمة الزخرفة أربع مرات في القرآن الكريم في سورة الأنعام والإسراء ويونس والزخرف[3]، ففي قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ)) [4] وقوله تعالى: ((أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ)) أي بيت من ذهب [5].

لقد اهتم الإنسان بالجمال (الذي هو الحسن والبهاء في الفعل وفي الخلق) وسعى الى تنمية إحساسه بالجمال (جمال الصور وجمال المعاني)الذي أبدعه الله في الكون فالإنسان بطبيعته ميّال الى الجمال فنراه في كل عصر ينجذب نحو كل ما هو مزين وجميل من مظاهر الطبيعة[6] وكلمة الزخرف تعني التجميل والتزيين[7]. والزخرف اصطلاحا هو زينة ويجوز ان يكون الأصل لكلمة الزخرف هو سقف من فضة وكلمة زخرفة تعني أشياء بعضها من ذهب وبعضها من فضة وزَخرَفَ البيت تعني زينه[8]، والزخارف تعني ما تُزَيّن به السفن[9]، والزينة هي من إبداع الله سبحانه وتعالى على الأرض والتي

دعانا الى النظر والتأمل فيها للتحقق والاستمتاع بما فيها من جمال، كما قال رسول الله (ﷺ) بهذا الخصوص (إنَّ الله جميل يحب الجمال) ثم صارت لفظة الزخرفة مصطلحاً أساسه الوحدة الزخرفية المتكررة التي تعتمد تصميماً أساسياً يتخذ أوضاعاً مختلفة في تكراره وتتتابع فيه الوحدات او تتقابل او تتناضر او لربما انعكست في المسار نفسه او تداخلت بهيئة متشابكة لتحقق التماثل النصفي او الكلي والتي يراعي فيها الفنان التوازن والتناسب وفق قواعد تصميمية مدروسة[10].

وفن الزخرفة يشابه الشعر والموسيقى من حيث إتباعهما قواعد خاصة فالشاعر يتبع الأوزان الشعرية المعروفة إذا ما أراد نظماً أما الموسيقى فتسير وفق فترات زمنية أثناء إيقاعها للإلحان والنغمات (أي ما يعرف بالسلم الموسيقي) كذلك فإن الفنان المُزَخرِف يقوم بتنسيق وحداته الزخرفية وفق أبعاد ومسافات خاصة يوزعها ويرتبها بشكل متناسق وموزون يكفل حفظ جمالها وبهائها 000 وهكذا فإن للنظم الزخرفية مظاهر نشاهدها في الطبيعة وقد اتخذها الإنسان مرشداً لما ابتكره من تزيين نفسه وأدواته ما يحيط به او يتعامل معه[11].

أما المعنى الدلالي للزخرفة فهو يعني التجميل اليدوي الفني الذي يقوم على ملئ وإشغال مساحات منتظمة وغير منتظمة من أنواع الوحدات الزخرفية سواء أكانت حيوانية ام نباتية ام هندسية [12] وبذلك تعتمد الزخرفة في تكوينها وبنائها على مجموعة من القواعد والنظم مستمدة أساساً من الطبيعة.

وان أهم القواعد والنظم التي يعتمد عليها التكوين الزخرفي هي:

- **التوازن:**

التوازن هو القاعدة الأساسية التي يجب توافرها في كل تكوين زخرفي بل كل عمل فني سليم، والتوازن بمعناه الشامل يعبر عن التكوين الفني المتكامل عن طريق إتقان توزيع العناصر والوحدات والألوان وتناسق علاقاتها ببعضها وبالفراغات المحيطة بها، والأمثلة على التوازن في الطبيعة كثيرة، مثل شجرة الصبار والأزهار التي تتكون أشكالها من كتل ذات سطوح ودرجات لونية متزنة في علاقاتها ببعضها وخلفياتها، واستخدام التوازن في الزخرفة يشمل جميع السطوح من أشرطة وإطارات وحشوات وسطوح ممتدة000[13].

- **التماثل:**

يعد التماثل من أهم القواعد التي تقوم عليها بعض التكوينات الزخرفية التي ينطبق احد نصفيها على النصف الآخر تمام الانطباق، التماثل نوعان تماثل نصفي وتماثل كلي.

أ- التماثل النصفي: ويشمل التكوينات التي يكمل احد نصفيها الآخر في اتجاه متقابل، وابرز الأمثلة على ذلك في الطبيعة (الفراشات).

ب- التماثل الكلي: وفيه يتكون التشكيل من تكوينين متشابهين تماماً في اتجاه متقابل او مضاد واغلب استخدام للتماثل الكلي هو في زخرفة الحشوات وبعض السطوح المختلفة[14].

- **التشعب:**

إن معظم التكوينات الزخرفية ولاسيما النباتية غالباً ما تتضمن التشعب الذي اتخذ أساساً في نمو أشكالها وهو على نوعين:

أ- التشعب من نقطة: وفيه تنبثق خطوط الوحدة او الشكل من نقطة المركز الى الخارج كمروحة وأمثلته في الطبيعة تشمل الكثير من أنواع الزهور والصبار.

ب- التشعب من خط: وفيه تتفرع الأشكال والوحدات من الخطوط المستقيمة والمنحنية من جانب واحد او من الجانبين ويمثله في الطبيعة سعف النخيل ونمو أوراق النباتات من فروعها ونمو الفروع من السيقان والجذور وان أكثر استخدامات التشعب هو في زخرفة الأشرطة والإطارات والحشوات المختلفة للسطوح[15].

- **التكرار:**

ان أساليب التكرار كثيرة فهي تجمع بين العديد من النظم الزخرفية ومنها التكوينات التي تضم أكثر من وحدتين او تزيد عن مجموعتين من الوحدات المزخرفة بشرط ان يكون التشابه تاماً بينها، وتتمثل في الظواهر الطبيعية عندما تجمع ما يزيد عن عنصرين وخاصة في مملكة النباتات كالزهور المنثورة في أحواضها وتجمع سنابل القمح وعيدان الذرة في حقولها، وفي الكائنات الحية كأسراب الطيور في السماء ومسيرات الإبل بالقوافل عبر الصحراء[16].لقد كان للفنان القديم إبداع متميز في تخطيط أسلوب التكرار لما خلفه من نقوش عديدة متنوعة على جدران وسقوف المعابد والمقابر وغيرها[17].

- **نشأة الزخرفة:**

منذ أقدم العصور والإنسان مدفوع بطبيعته الى التأمل بما يحيط به من أشياء أدركها واستمتع بها وأحس بجمالها وعندما شعر الإنسان الأول بحاجته الى التجميل والزخرفة كان من البديهي ان تكون الطبيعة مصدر إلهامه الأول واستوحى من بعض ما يحيط به من مشاهدها عناصر زخرفية لخطوط بدائية زين بها كهفه ووشم بها جسده[18].

إذ لم تكن الزخرفة في أول أمرها ومنذ عصور ما قبل التاريخ سوى انطباعات بسيطة عن ما توحيه الطبيعة الساحرة حوله محاولاً ان يسجل آثار ذلك على سطوح أوانيه وأدواته البدائية البسيطة وخاصة الفخارية، فالنماذج المكتشفة منذ الألف السادس قبل الميلاد عبارة عن خطوط بسيطة تشكل صدى إيقاع الأشياء المحيطة بالانسان، وبمرور الزمن واستمرار التطور وتوفر بعض أسباب أمن الانسان وسلامته ارتقى الإنسان بفكره ونمت حواسه واستخدم عناصر زخرفية بسيطة من الأشكال الهندسية والنباتية والحيوانية جمّل بها مأواه وبعض أسلحته وأوانيه بشكل أكثر اتقاناً مما سبق[19].

ان فكرة الزخرفة نشأت عند الإنسان القديم نتيجة التحويرات الكثيرة التي قام بها على أشكال الحيوانات والنباتات والأشكال الهندسية كالخطوط المتوازية والمستقيمة وكذلك أشكال السهام والأقواس وقرون الحيوانات وحوافرها وبعض تفاصيلها مكوناً منها وحدات زخرفية تعطي بعضها طابع التجريد والرمز وكانت هذه الوحدات تتألف بعامة من تكوينات هندسية مختلفة[20].

يشتمل قسم من الزخارف على دوائر متداخلة بعضها كاملة وبعضها ناقصة وأشكال هندسية أخرى مؤلفة من تقاطع خطوط المثلثات والمربعات والمستطيلات وتشكيلات نباتية محورة كالزهور والأوراق والأغصان، وتشكيلات آدمية وحيوانية محورة كالطيور والإبل والغزلان والثيران وحيوانات أخرى من ذوات القرون من النوع المعروف بالبكرانيوم (أي الثور البري) وصور الأسماك ايضا، وقد تطورت الزخرفة على سطوح الأواني الفخارية بمرور الزمن ويعتقد بعض الباحثين ان التحويرات الزخرفية الحاصلة في الأشكال الطبيعية لها علاقة بقضايا سحرية ودينية كانت معروفة آنذاك[21]. واستمر تطوير هذه الزخارف من وحدات تصميمية بسيطة ومتكررة الى خطوط تزينية متنوعة نتجت عنها أشكالاً رائعة أخاذة ولاسيما بعد استخدام الألوان الزاهية فيها، ثم حملت وعكست مكنونا وأسرار مبدعيها وإلهامهم[22].

ولقد نفذ السومريون والاكديون والبابليون والآشوريون الزخارف لتزيين المباني ومن هذه الزخارف ما أُقتبِسَ من النظم الهندسية ومنها ما أُخِذَ من أشكال النباتات كالأشجار مثل شجرة النخلة وأشجار العنب والتين والزيتون والأزهار مثل زهرة البابونج وزهرة اللوتس وزهرة النرجس 000 وعبرت هذه الزخارف عن عبقريتهم الفذة في الابتكار للأشكال المختلفة (النباتية والحيوانية) الحيوانية كالأسود والثيران ذوات الأجنحة والنباتية كشجرة الحياة (الشجرة المقدسة)[23]. وقد وصل تنفيذ تلك الزخارف الى أقصى درجات الازدهار والتطور والجمال خلال العصرين الآشوري والبابلي الحديث عندما استخدم الفنان في تنفيذ تشكيلاته الزخرفية أصباغاً متنوعة للتلوين على الاواني المعدنية والعاجية والعظمية فضلاً عن الفخاريات التي ظل يستخدمها للأغراض المعيشية اليومية طيلة العصور العراقية القديمة ليضفي على سطوح هذه الاواني زينة جمالية بزخارف متنوعة ونقوش ذات تخطيطات هندسية ونباتية ورسوم آدمية وحيوانية وقد أظهرت التنقيبات الأثرية نماذج كثيرة من هذه الزخارف في المواقع الأثرية[24].

- **الزخرفة مفهومها وأهميتها:**

من الواضح ان الزخرفة تعد من أهم الفنون التشكيلية وأعظمها تاثيراً في إكساب معظم المنتجات الحرفية قيماً جمالية جذابة الى جانب أهدافها النفعية، وتعتبر الطبيعة وما فيها من مرئيات أساساً لكل زخرفة صحيحة فهي وحي الفنان ومصدر الهامة وخياله ومنها يستمد أسسها ونظمها وعناصر تكويناتها. ان كيفية تشكيل الزخرفة يبدأ عادة بالتأمل والمشاهدة لما وقع عليه البصر من عناصر الطبيعة[25]. والزخرفة من الفنون الإنسانية التي تسر النفس البشرية بما تبعثه من انفعالات جمالية وخيالية وإبداعية الى جانب كونها فناً تشكيلياً، شأنها في ذلك شأن الفنون الأخرى من رسم ونحت وما الى ذلك، إلا ان ما يميز فن الزخرفة عن سواه من الفنون الأخرى هو تأثره بالبيئة المحيطة به والتي هي حصيلة التطور الفكري والمادي للإنسان وتمثل آخر مستويات هذا التطور، إذ تعتمد على مبدأ الإعادة والتكرار والنمو والتطور والوحدة الموضوعية والتنوع والتشكل والإيقاع والتوازن وكل ذلك مما يضمن استمرارية الحركة الشعورية للإنسان في متابعة العلاقات المتكونة بين وحدات تلك الزخرفة وعناصرها[26].

ولفن الزخرفة أهمية خاصة، فهو يعكس رفعة الذوق الفني وارتقائه الى جمال العمارة فمهما كان التصميم الهندسي متقناً والتنفيذ المعماري دقيقاً تبقى تلك التكوينات المعمارية كتل عادية رتيبة وجامدة ما لم تضاف اليها لمسات فنية وزخرفية، لذا وظف الفنان منذ القدم فن الزخرفة لإضفاء النواحي الفنية والجمالية على أعماله ولملء الفراغات على السطوح الجامدة، وبذلك يمنح المشاهد قيماً فنية وجمالية رائعة وإحساس بالخيال الى ابعد الحدود[27].

ان دراسة الزخارف تمكن الباحثين من التعرف على أصالة التاريخ الفني وقدمه، وأثره في الفنون الأخرى من خلال دراسة النماذج الفنية وتكويناتها الزخرفية البارزة مع دراسة الأسس والقواعد الزخرفية المنفذة عليها، فان كل طراز زخرفي يمثل حضارة عريقة لها قواعدها وقدمها الراسخ في مختلف أنواع الفنون ولها أثرها في الفنون التي لحقتها ونرى ان الزخرفة في العراق القديم قد انتشرت وأثرت في البلدان المجاورة وبهذا تكون دراسة الزخرفة وتاريخها مهمة لمعرفة الأساليب الفنية وتطورها عبر العصور[28].

العناصر الزخرفية:

يمكن تقسيم العناصر الزخرفية التي شاع استخدامها في الفن العراقي القديم الى خمسة عناصر هي:

- الزخارف النباتية
- الزخارف الهندسية
- الزخارف الكتابية
- الزخارف الآدمية والحيوانية

- **الزخارف النباتية:**

ان تحديد نوعية الزخرفة يعتمد على النظر الى عناصرها الأساسية المكونة لوحداتها المتكررة فاذا كانت الورقة او الزهرة او الثمرة او أجزاء النباتات الأخرى من مكونات عناصرها الأساسية تطلق عليها اسم (الزخرفة النباتية). لقد شاعت الزخرفة لدى مختلف الأمم والشعوب وكان لكل منهم طابعه الخاص الذي ينطلق من المحيط الذي يعيش فيه وطبيعة تذوقه الفني وإحساساته الذاتية، وهذا يبرز التمايز بينها في اختيارات أشكال الأجزاء المختلفة للنباتات وخاصة الأزهار وطريقة رسمها وتوزيعها وكيفية التوصل الى إنشاء تشكيلاتها[29].

ويلاحظ هذا التنوع وأساليبه المختلفة وطابعه الخاص مثلاً في الزخارف السومرية والاكدية والبابلية والآشورية فقد كان لهم ولع كبير بتمثيل الطبيعة إذ شغلت الزخارف النباتية حيزاً كبيراً من فنونهم[30].

ان من أكثر المواضيع النباتية شيوعاً هي زخرفة الشجرة التي كانت في الأساس تمثل شجرة النخلة المستوحاة من الطبيعة العراقية القديمة والمألوفة في معظم مشاهد الفن التشكيلي السومري والاكدي والبابلي والآشوري فضلاً عن استخدام عناصر نباتية أخرى كوحدات زخرفية مثل شجرة الرمان وشجرة السرو وأشجار جبلية متنوعة فضلاً عن شجرة العنب وكذلك

ثمار الأشجار وأزهارها وخاصة ثمرة الرمان وأزهار النباتات مثلا أزهار نبات البردي في مرحلة التكوين، سواء في استخدام أوراقها او ثمارها كوحدات زخرفية، وقد شاع استخدام زهرة البابونج (زهرة الربيع اللؤلئية) في الفن الآشوري بصورة خاصة، ومن العناصر النباتية الأخرى التي كثر استخدامها لملئ المنحوتات سنابل القمح التي ترمز الى الخير والبركة فقد كان استخدام هذا العنصر الزخرفي قديماً منذ ان تعلم الإنسان القديم كيفية الرسم والنقش[31] وان للزخرفة النباتية خصائص ميزتها عن غيرها من العناصر الأخرى وهي أشكالها المتناظرة وعناصرها المتقابلة وتشكيلاتها المتداخلة المتشابكة التي امتازت بكثرة استعمالها في تزيين أرضيات العناصر الزخرفية الأخرى كالأشكال الهندسية والمقرنصات بهيئة فروع دقيقة وأغصان متموجة او متداخلة او أزهار منفردة منتشرة بين تلك الزخارف[32]. ينظر الشكل (1).

- **الزخارف الهندسية:**

يقصد بالزخارف الهندسية استخدام الأشكال الهندسية المستوية او المجسمة او الوحدات الزخرفية المنفذة بقياسات محددة على التحف والجدران والمباني، والزخارف الهندسية هي التكوينات التي يمكن تشكيلها من العلاقات الخطية الناتجة عن تلاقي بعض أنواع الخطوط المستقيمة[33]، وقد تمتزج احيانا الزخارف الهندسية بالزخارف النباتية والرسوم الآدمية والحيوانية مبالغة من الفنان في اظهار زينتها بجمالها على الوجه الأكمل.

إن الحديث عن بدايات إستخدام الزخارف الهندسية يقودنا بالضرورة الى ذكر تاريخها القديم في الألف الخامس (قبل الميلاد)، فقد عمد الفنان العراقي القديم منذ عصور مبكرة الى تنفيذ زخارفه الهندسية على الأواني الفخارية والآلات الحربية والأدوات الموسيقية والحلي الذهبية والمعدنية والأختام الاسطوانية الى جانب العديد من المنحوتات الجدارية. ان ابرز عناصر الزخارف الهندسية التي نفذها الفنان العراقي القديم على أعماله الفنية هي عنصر الدائرة وعنصر المربع وعنصر المستطيل وعنصر المعين وكذلك استخدم الفنان عنصر الحلقات الرابطة وعنصر الحلزونات وغيرها من العناصر التي زينت الأعمال الفنية العراقية القديمة[34].

لقد اعتنى الفنان العراقي في استخدام نماذج هذه الزخارف الهندسية حتى أصبحت ميزة من مميزات الفن العراقي القديم فكان إقبال الفنان على تنفيذ هذا العنصر لغرض ملئ الفراغات وإعطاء زينة جمالية أكثر للمشهد، لذلك عمد الى تغطية المساحات والسطوح بالعناصر الهندسية المتنوعة.[35] ينظر الشكل(2) [36].

- **الزخارف الكتابية:**

لقد قام الفنان العراقي القديم بإدخال نقوش الكتابة المسمارية كعنصر رئيسي من عناصر الزخرفة على أعماله الفنية فضلاً عن غايتها الوظيفية، فكانت الكتابة المسمارية تنقش على الأعمال الفنية بهيئة زخرفية حتى أصبحت تمثل وحدة زخرفية لا تنفصل عن بقية العناصر الزخرفية الأخرى، اذا اتقن الفنان تنفيذها الى درجة أصبحت فيها اسطر الكتابة من ضمن تصميم البناء وزخارفه الرئيسية كما أصبحت عنصراً من عناصر القيم الجمالية واحد المقومات الأساسية للعمارة، وقد نقش الفنان تلك الكتابات على الأعمال الفنية المختلفة بعد تدوينها من قبل كتبة محترفين، وكانت تشتمل على موضوعات مختلفة تتعلق بالفكر السياسي والديني والاجتماعي، وان أسلوب تدوين هذه الكتابات تميز بالسرد القصصي المتسلسل لوقائع الأحداث وبتكوين زخرفي رائع[37]. ينظر الاشكال (3، 4) [38].

- **الزخارف الآدمية والحيوانية:**

نفذ الإنسان العراقي القديم زخرفة الأشكال الآدمية – والحيوانية منذ عصور قديمة ويستدل على ذلك بالآثار الفنية الباقية لحد الان، لقد نفذت الأشكال الآدمية وخاصة في عصور ما قبل التاريخ ثم مرت بخطوات متدرجة من التطور والنضوج من ناحتي الأسلوب والموضوع. ان زخرفة الأشكال الآدمية اغلبها كانت تمثل أشكال نسائية ذلك لان إنسان ذلك العصر قدس المرأة فقد ظهرت على اغلب أعماله[39]

كما قام الفنان بتنفيذ أشكال مركبة لحيوان الأسد او الثور وأجنحة النسور ورأس البشر بعد ان اخذ أجزاء من مخلوقات آدمية وحيوانية واعتمد تحديداً على الجزء الذي يمثل عنصر قوة ذلك الكائن في الطبيعة فقام بصيغة تلك الأجزاء وجمعها

في شكل جديد خيالي يمثل مخلوقاً أسطورياً وبما يتلاءم مع الأفكار والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين في ذلك العصر فاستطاع ذلك الفنان بإمكانياته الفنية ان يحقق الترابط بين الشكل والمضمون في ذلك الكائن المركب[40]. ينظر الشكل (5) [41].

فضلاً عن الأشكال الآدمية وأشكال الكائنات المركبة فقد نفذ الفنان أشكالا لبعض الحيوانات منها أشكال الماعز والغزلان والأسود والثيران والكلاب وغيرها، إذ يقوم البناء الزخرفي لهذه الأشكال على أسس وقواعد ثابتة في تنفيذ أشكال الصور وعناصر الوحدات الزخرفية على الأعمال الفنية المختلفة والتحف وواجهات المباني وعلى جدران القاعات وبوابات القصور[42]، ينظر الشكل (6) [43].

الإستنتاجات:

1- من خلال البحث تبين ان الطبيعة كانت الملهم الاول للفنان في العراق القديم ومنها استمدَّ الأشكال الزخرفية فنفذها على الأعمال الفنية (النحت والرسم) ثم عمل على تحويرها وتطويرها لتصل بالعمل الفني الى اجمل ما يمكن.

2- انّ اهتمام ملوك وحكام العراق القديم بالفن ورغبتهم بتخليد اعمالهم ادى الى تطور الفنون وظهور فنانين استطاعوا تنفيذ اعمال فنية بالغة الدقة وغاية في الجمال مثل المنحوتات اللبابلية والاشورية.

3- ان تطور الفنون في العراق القديم هي حصيلة التطور الفكري والإزدهار الإقتصادي والإستقرار السياسي للإنسان في ذلك العصر.

4- ان دراسة الزخارف تمكن الباحثين من التعرف على أصالة التاريخ الفني وقدمه، وأثره في الفنون الأخرى من خلال دراسة النماذج الفنية وتكويناتها الزخرفية البارزة مع دراسة الأسس والقواعد الزخرفية المنفذة عليها، فإنّ كل طراز زخرفي يمثل حضارة عريقة ونرى أنّ الزخرفة في العراق القديم قد انتشرت وأثرت في البلدان المجاورة وبهذا تكون دراسة الزخرفة وتاريخها مهمة لمعرفة الأساليب الفنية وتطورها عبر العصور(28).

الهوامش:

1. سورة الصافات، الآية 6.
2. سورة يونس، من الآية 24.
3. بن زكريا، لأبن الحسن احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد علام محمد هارون. مج 23، بيروت، 1955، ص 3.
4. سورة الأنعام، من الآية 112.
5. سورة الإسراء، من الآية 93.
6. الفراهيدي، الخليل بن احمد، كتاب العين، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي مخزومي، بغداد، 1989، ص 338.
7. الأنصاري، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب لابن منظور، ج 11، مصر، 627-711هـ، ص 32.
8. بن عمر، أبي القاسم جار الله حمود، تفسير الكشاف، ط1، لبنان، 2002، ص 909.
9. رضا، محمد، معجم فن اللغة، مج 3، بيروت، 1959، ص 23.
10. ذنون، يوسف، الزخرفة العربية والإسلامية صدى الواقع وثمرة الخيال، بحث شارك فيه الباحث في مؤتمر الشارقة للخط العربي، 2002، ص 30.
11. بن زكريا، المصدر السابق، ص 4.
12. الفراهيدي، المصدر السابق ص 34.
13. حمودة، حسن علي، فن الزخرفة، مصر، 1972، ص 66.
14. محمد، حامد جاد، قواعد الزخرفة، مصر، 1956، ص 208.

15. حمودة، المصدر السابق، ص 66.
16. جاد، محمد توفيق وإبراهيم إسيلي حبيب، تاريخ الزخرفة، مصر، ص 15.
17. كما اشتهر العصر الإسلامي بتشكيلات شتى فريدة في أسلوب التكرار الرفيع في النقوش الجدارية والخزفية الملونة المذهبة او المطعمة بالفضة او المحفورة على النحاس او المطعمة بالخزف والعاج وغيرها للمزيد ينظر: حمودة، المصدر السابق، ص 70.
18. المصدر نفسه، ص 5.
19. ذنون، المصدر السابق، ص 1.
20. فارس، شمس الدين، والخطاط سلمان عيسى، تاريخ الفن القديم، ط1، بغداد، 1980، ص 29.
21. جودي، محمد حسين، تاريخ الفن العراقي القديم، ج1، النجف، 1974، ص 63-64.
22. ذنون، المصدر السابق، ص 1.
23. يوسف، احمد احمد، ومصطفى محمد عزت، خلاصة تاريخ الطرز الزخرفية والفنون الجميلة، د.ت، ص 27-28.
24. الجمعة، احمد قاسم، الزخرفة الجصية، موسوعة الموصل الحضارية، ج3، موصل 1991، ص 34.

كذلك بلغت الزخرفة ذروتها في الفن العربي الإسلامي، التي انطلقت من أعماق الفنان المسلم لتعبر عن خياله الخصب، للمزيد ينظر، ذنون، المصدر السابق، ص 1-2.

25. حمودة، المصدر السابق، ص 4.
26. آل سعيد، شاكر حسن، سر البنى الزخرفية (الزخرفة والخط العربي فنان متكاملان) مجلة آفاق عربية، ع9، مج 6، 1986، ص 260.
27. المعاضيدي، عادل عارف فتحي، الواجهات الفنية والمعمارية للدور التراثية في الموصل، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، 2002، ص 36.
28. محمد، المصدر السابق، ص 205.
29. ذنون، المصدر السابق، ص 3.
30. حبش، حسن قاسم، مبادئ فن الزخرفة، ط1، بغداد، 1984، ص 5.
31. الجادر، وليد، الفنون التشكيلية الزخرفة لخط الرسم، موسوعة الموصل الحضارية، ج1، موصل، 1991، ص 474.
32. حسين، المصدر السابق، ص 218.
33. النجاري، غسان مردان حجي، العناصر الزخرفية في الفن الآشوري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، 2005، ص 37.
34. النجاري، المصدر السابق، ص 38.
35. المصدر نفسه، ص 39.
36. Rizza , Alfredo , The Assyrians And The Babylonians , Italy , 2007 , P65
37. يوحنا، مجيد كوركيس، النحت البارز في عصر سرجون الآشوري، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، 1991، ص98.
38. Ascalone , Enrico , Mesopotamia , California , 2005 , P 58 , 96
39. محسن، زهير صاحب، والخطاط سلمان، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، بغداد، 1987، ص 30.
40. فارس، شمس الدين، المصدر السابق، ص 29.
41. Steele , Philip , Eyewitness Mesopotamia , New York , 2007 , P46.
42. النجاري، المصدر السابق، ص 75.
43. Steele , Opcit , P 52

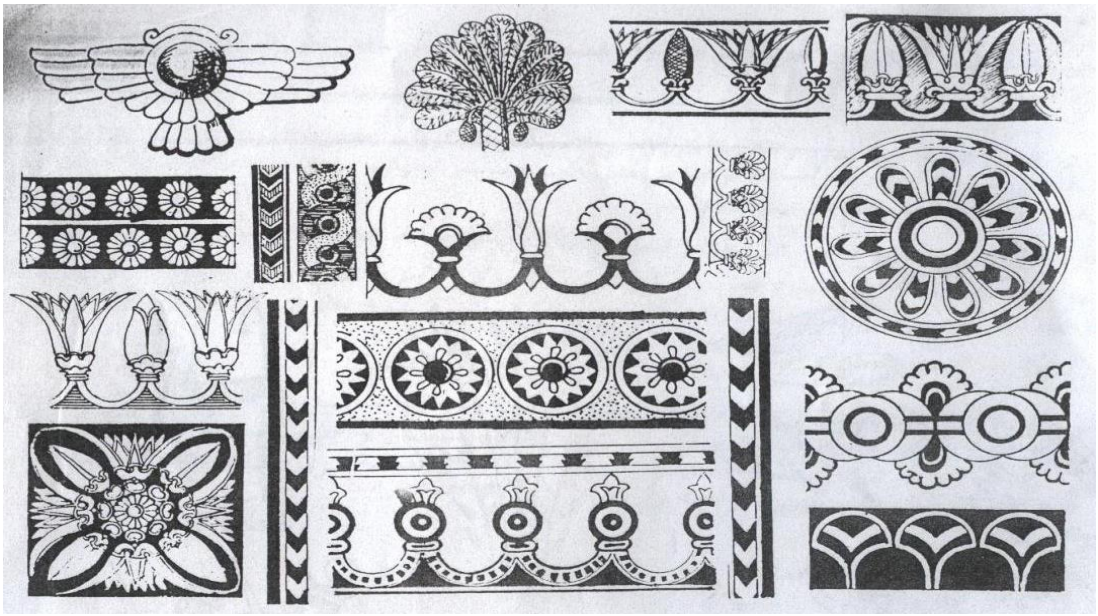

الشكل (1) زخارف نباتية متنوعة من الفن الآشوري والبابلي

مأخوذ من: حبش، المصدر السابق، ص 25

الشكل (2) مجموعة من الزخارف الهندسية

مأخوذ من: Rizza , Alfredo , The Assyrians And The Babylonians , Italy , 2007 , P65

الشكل (3) تمثال كوديا تظهر عليه زخارف كتابية

ماخوذ من: Ascalone , Enrico , Mesopotamia , California , 2005 , P 96

الشكل (4) نصب لآشوربانيبال تظهر عليه زخارف كتابية

مأخوذ من: Ascalone , opcit , P 58

الشكل (5) كائن مركب آدمي وحيواني (الثور المجنح)

مأخوذ من: Steele , Philip , Eyewitness Mesopotamia , New York , 2007 , P46

الشكل (6) مجموعة من اشكال الحيوانات تزين بوابة عشتار

مأخوذ من: Steele , Philip , Eyewitness Mesopotamia , New York , 2007 , P52